

التبيان في تفسير القرآن

(31) يقال: عكف عكوفاً، فهو عاكف، واعتكف اعتكافاً. قال ابن عباس: معناه فنظّل لها مصليين. وقيل: في وجه دخول الشبهة عليهم في عبادة الاصنام أشياء: أحدها - أنهم اعتقدوا أنها تقربهم إلى الله زلفى كما يتقرب بتقبيل بساط الملك إليه. ومنها - أنهم اتخذوا هياكل النجوم ليحفظوا بتوجه العبادة إلى هياكلها، كما يفعل بالهند. ومنها - ارتباط عبادة الله بصورة يرى منها. ومنها - أنهم توهموا خاصية في عبادة الصنم يحظى بها، كالخاصية في حجر المغناطيس. والشبهة الكبرى العامة في ذلك تقليد الذين دخلت عليهم الشبهة، ولذلك " قالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " ولم يحتجوا بشئ سوى التقليد، الذي هو قبيح في العقول. والعبادة خضوع بالقلب في أعلى مراتب الخضوع، فلا تستحق إلا بأصول النعم وبما كان في أعلى المراتب من الانسان، فكل من عبد غير الله، فهو جاهل بموجب العبادة، كافر لنعم الله، لان من حقه إخلاص العبادة له. فقال لهم ابراهيم (ع) " هل يسمعونكم " هذه الاصنام التي تعبدونها إذا دعوتموها ! أي هل يسمعون أصواتكم، لان اجسامهم لا تسمع " او ينفعونكم " بشئ من المنافع " او يضررون " بشئ من المضار !. وانما قال ذلك، لان من لا يملك النفع والضرر، لا تحسن عبادته، لانها ضرب من الشكر، ولا يستحق الشكر إلا بالنعم، فمن لا يصح منه الانعام يقبح شكره، ومن قبح شكره قبحت عبادته. فقالوا عند ذلك " وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " أحالوا على مجرد